

وكأنما خشي النعمان — وقد صار أبًا — أن تكون أبوتَه مَجَبَّةً مَبْخَلَةً،^٧ فاحتمل أهله وولده إلى الرقة حيث تقيم أمُّه وعشيرته، وعاد مُعْجَلًا إلى الثغر يترَبَّص بالروم في كل صائفة وشاتية، وعاش الصبي بين جدته وبني عمومته، وخَفَّ أبوه إلى الميدان.

المعارك تتوالى بين العرب والروم، والسفن العربية عليها الرايات البيض، تغدو وتروح في بحر الروم بين أقريطش^٨ وقبرص وأرواد^٩ وسواحل القسطنطينية، ما أجدر هذا البحر الأبيض أن يسمى «بحر العرب»! إنَّ جند العرب لتحلَّ شاطئه الأفريقي والأسبوي جميعًا من المضيق إلى المضيق، وما فيه من جزيرة إلا ارتفع فيها الأذان ورفرفت عليها الراية العربية، وإنَّ قوات الفتح لتوشك أن تثب من شاطئ إلى شاطئ، فتبلغ القسطنطينية في الشرق وجزيرة الأندلس في الغرب، ثم تمد مدَّها حتى يلتقي جناحها في الأرض الكبيرة^{١٠} فلا يكون على شاطئ هذا البحر من فوق ولا من تحت إلا نفوسُ عربية مؤمنة تعجُّ بالتكبير والأذان.

«أقيموا المآذن في كل أفق يُذكر عليها اسم الله: الله أكبر...» واستجاب المسلمون للداعي، وتفرَّقت جيوش المسلمين في الأرض:

محمد بن القاسم الثقفي^{١١} في الهند والسند يكتسح معاقل الكفر، ويدعو إلى الله عبَّاد الوثن ...

وقتيبة بن مسلم الباهلي^{١٢} في خُرسان وبلاد الترك يُثخن في الأعداء إثخانًا بليغًا، وينشر اسم الله في البرية الشاسعة بين الصين وجبال القَبج.^{١٣}

^٧ سببًا للجبن والبخل.

^٨ أقريطش: جزيرة في البحر، تسمى الآن «كريت».

^٩ أرواد: جزيرة صغيرة في البحر بالقرب من طرطوس في الشام.

^{١٠} كان العرب يسمون وسط أوروبا: الأرض الكبيرة، أرض رومية.

^{١١} من قادة جيوش الفتح في ذلك التاريخ.

^{١٢} من قادة جيوش الفتح في ذلك التاريخ.

^{١٣} جبال القَبج: هي جبال القوقاز، من أرض روسيا الآن.